

التلقي والتأويل في النقد الأدبي

أ.م.د. ديلم كاظم سهيل

جامعة بغداد / رئاسة الجامعة

أ.م.د. ملاذ ناطق علوان

جامعة النهدين / كلية الهندسة

ملخص بحث

تحظى اللغة بمكانة مرموقة لدى المجتمعات كلها على اختلاف ثقافات وانتماءاتها؛ لأنها تعد عاملاً أساسياً في التواصل بين افراد المجتمع، ويعبر الأفراد من خلالها عن مشاعرهم واحاسيسهم وأفكارهم، وبواسطتها ينقل التراث الحضاري للأمم بين ابناء الأمة الواحدة ايضاً. قام الباحثون في اللغة العربية بالتعرف عليها واطهار كنوزها، ولعل مصطلح "التلقي" ومصطلح "التأويل" من المصطلحات التي اثارت اهتمام الباحثين والدراسين ، ونحن منهم، لما لهذين المصطلحين من دور مهم وفعال في ايصال رسالة صانع النص بصورة واضحة مشرقة تُشعر مستلمها بالمتعة. ونعتقد ايضاً ان هذين المصطلحان على صلة وثيقة ببعضهما البعض، لما يشتملان عليه من التمييز في ايضاح جوهر النص، بالرغم من ان مصطلح "التلقي" هة اقرب الى موضوع النقد الادبي، بينما مصطلح "التأويل" هو اقرب الى المعارف القرآنية، على سبيل المثال، علم التفسير وعلم الكلام والفلسفة واصول الفقه، لذلك ركزنا في بحثنا هذا على هذين المصطلحين.

Receive and Interpretation in the Literary Criticism

Dailam Kadhim Sahal
University of Baghdad

Malath Natiq Alwan
Al-Nahrain University

Abstract

The Arabic language has high status among all societies, of different cultural and affiliations , because, it is a key source of communications among members of society, thought which people express their feeling and thoughts, moreover, the cultural heritage of nations is transferred, and among members of the same nation.

Researchers in Arabic language have identified and displayed its treasures linguistic., perhaps the terms "receiving and interpretation", among the terms have raised the interest of researchers and students, and we are

among them", because the terms have an important and effective role in delivering the message of the text maker in a clear and bright view, make the recipient feel with pleasure.

We also, believed that these two terms are closely related to each other and include discrimination in clarifying the substance of the texts. Although, the term "receiving" is closer to the subject of literary criticism, while the term "interpretation" is closer to the Qur'anic knowledge, such as, Science of interpretation, Speech, Philosophy, and Fundamentals of Jurisprudence. Therefore, we focused of these two terms in our research.

المقدمة:

تحظى اللغة بمكانة رفيعة لدى المجتمعات كلها على اختلاف ثقافاتهما وانتماءاتها؛ لأنها تعد عاملاً أساسياً في التواصل بين أفراد المجتمع، ويعبر الأفراد من خلالها عن مشاعرهم واحاسيسهم وأفكارهم، وبواسطتها ينقل التراث الحضاري للأمم بين ابناء الأمة الواحدة، وبين ابناء الأمم الأخرى ايضاً.

لذا حظيت اللغة - أية لغة- بادابها ونقدها وفروعها المتنوعة الأخرى باهتمام الدارسين والباحثين، ومنها اللغة العربية المباركة.

فقد قام الدارسون والباحثون فيها باخراج كنوزها، وإضاءة فنونها، وإنارة زواياها الخفية، ولعل مصطلح "التلقي" ومصطلح "التأويل" من المصطلحات التي اثار اهتمام الباحثين ونحن منهم لما لهذين المصطلحين من دور مهم في ايصال رسالة صانع النص بصورة واضحة مشرقة تُشعر مستلمها بالمتعة والاثارة دون التباس او ضبابية.

ونعتقد ان هذين المصطلحين على صلة وثيقة ببعضهما البعض، لما يشتملان عليه من التمييز في ايضاح جوهر النص، وإصدار الأحكام عليه، لقدرتهما على الغوص في أقصى الأعماق الابداعية لصناعة النص التي تعكس بحق شخصية الصانع وانفعالاته وطموحه، كما إنها تغذي في النفوس الثقة والرغبة الشديدة في البحث، وملاحظة الجديد والغريب في النص للوصول الى المعرفة المنشودة بما يظهر قيمة النص الأدبي ومستواه الفني لفظاً ومعنى، أسلوباً وفكرة، على الرغم من ان التلقي اقرب الى النقد الأدبي، والتأويل أقرب الى المعارف القرآنية، كعلم التفسير، والكلام، والفلسفة، وأصول الفقه.

التلقي لغةً واصطلاحاً:

التلقي في اللغة- هو (ألقى) الشيء: طرحه. تقول: ألقه من يدك، وألق به من يدك، ويقال: ألقيت إليه المودّة وبالمودة. وفي التنزيل العزيز: {تلقون إليهم بالمودة}. وألقى الله الشيء في القلوب: قذفه. والقرآن: أنزله. والمتاع على الدابة: وضعه. وعليه القول: أملاه، وهو كالتعليم. ويقال: ألقى اليه القول وبالقول: أبلغه إيّاه، وألقى إليه بالاً: اكرث به واستمع له. وألقى فلان السمع، وإلى فلان السمع: استمع وأصغى. وإليه خبراً: اصطنعه عنده. وإليه السلام: حيّاه به^(١).

التلقي في الاصطلاح:

خلال مرورنا على المصادر المتنوعة لم نجد اتفاقاً واضحاً على تعريف اصطلاحى واحد للتلقي، لذا نذكر هنا أقرب ما يكون لبحثنا من التعاريف الاصطلاحية لمفهوم التلقي. قال (أولريش كلاين) عن مصطلح التلقي في معجم الأدب إنه: "يفهم من التلقي الأدبي - بمعناه الضيق - الاستقبال (إعادة الانتاج، التكييف والاستيعاب، التقييم النقدي) لمنتوج أدبي، أو لعناصره بإدماجه في علاقات أوسع، فالتلقي نزوع إدراكي يتهيأ لاستقبال الموضوع الجمالي"^(٢). ويراة (ياوس) إنه: "مفهوم ذي معنى مزدوج يشمل الاستقبال أو التملك، والتبادل معاً"^(٣).

التأويل لغةً واصطلاحاً:

التأويل في اللغة- هو (أول) - أولاً: سبق. (أول) الشيء إليه: أرجعه، يقال في الدعاء لمن فقد شيئاً: أول الله عليك ضالتك، وفي الدعاء عليه: لا أول الله عليك شملك. والكلام: فسره وفسره وردّه الى الغاية المرجوة منه. والرؤيا: عبرها. (أثال) المال والرعية: ألهما. (تأول): مطاوع أوله. والكلام: أوله. وفي خلاف الأمر: توسمه وتحراه، يقال: تأملته فتأولت فيه الخير"^(٤). ويرى ابن فارس إنّه: "أول: ابتداء الأمر وانتهاؤه. أما الأول، فالأول وهو مبتدأ الشيء.. ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله} يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم"^(٥).

التأويل في الاصطلاح:

هناك أكثر من مفهوم اصطلاحى للتأويل، ولكننا أخذنا أقربها الى بحثنا، إذ جاء في معجم المصطلحات العربية إن التأويل: هو "طريقة خاصة لتأويل ما يقرؤه المرء لنص فهمه غيره فهماً مختلفاً، فيقال "قراءة جديدة لمسرحية هملت، بمعنى تأويل جديد لها، وهذا الاستعمال غير شائع في العربية"^(٦).

وهو أيضاً "فك كود الخبر المكتوب وتأويل نص أدبي ما"^(٧).

وجاء في تأويل النص هو "القراءات المتعددة التي تنتج على نص أدبي، والقراءة هنا تأتي بمفهوم التأويل، إذ يبدو هذا المصطلح أحياناً مرادفاً للتفسير الذي هو فهم ظاهر المعنى، وأحياناً أخرى تأتي بمفهوم التأويل الذي يعبر عن معنى المعنى"^(٨).

المعالجة:-

لقد عرف النقد العربي الحديث مجموعة من المناهج النقدية نتيجة الانفتاح على الثقافة الغربية، ومنها منهج التلقي والتقبل، والذي يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي قصد تأويله، وخلق صورة معناه المتخيلة.

ونجد للتلقي جذور موعلة في القدم في كتاب أرسطو "فن الشعر"، وفي الموروث البلاغي، الذي ركز بصورة عامة على أثر الاتصال الشفاهي والكتابي على المستمع والقارئ.

ومصطلح "التلقي" يظهر في التراث العربي أشد دلالة على الحالة السماعية للشعر من مصطلحات أخرى كمصطلح القارئ أو السامع بوصفه مصطلحاً شاملاً تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية.

وجاء في أقدم وثيقة نقدية عربية - صحيفة بشر بن المعتمر - إشارة الى تقريب الشفة بين الخطيب والشاعر: "ينبغي للمتكلم ان يعرف أقدار المعاني، وتوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"^(٩).

ونرى أن الناقد العربي كثيراً ما يستخدم صيغة الخطاب المباشر وكأن المخاطب أمامه وجهاً لوجه ويبدو ان الناقد العربي أراد من ذلك ان يبني صيغة من صيغ الحوار المباشر مع المتلقي من خلال افتراض حضوره الدائم مكاناً وزماناً ويتم ذلك غالباً اما عن طريق (كاف الخطاب) أو فعل الأمر، او توجيه الكلام مباشرة اليه.^{١٠}

وتوجيه الخطاب الى الغائب كان أسلوباً متبعاً ايضاً، ومن الألفاظ الشائعة (النفس)، ويوحى هذا اللفظ بدلالات كثيرة اذ ان النفس تشير الى الانسان ومشاعره الداخلية واعماقه، فكان الخطاب الأدبي موجه في جوهره الى السطح الظاهر .

وقد أثرت بعض المصادر الفكرية في إخراج وظهور نظرية التلقي، وهي:-

١- الشكلانية الروسية.

٢- بنيوية براغ.

٣- ظواهرية رومان أنجاردن.

٤- سوسولوجيا الأدب.

٥- هيرميوطيقا الأدب.

ترى نظرية التلقي ان أهم شيء في عملية الأدب هي تلك المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع والقارئ - المتلقي - أي ان الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من تموضع القارئ في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار له، باعتباره هو المرسل اليه والمستقبل للنص، ومستهلكه وهو كذلك القارئ الحقيقي له: تلذذاً ونقداً وتفاعلاً وحواراً، ويعني هذا إن العمل الأدبي لا تكتمل حياته وحركته الإبداعية، إلا عن طريق القراءة وإعادة الانتاج من جديد.

فالعصر اليوم عصر القارئ الذي يفيد من المقروء ليضيف اليه فيحوّله من نص قرائي الى نص كتابي لا لشيء، إلا لأن الكاتب تخلى عن وظيفته السابقة في أن يقدم نصوصاً قابلة للهضم بل هي نصوص غامضة يصعب الإلمام بها الا بوجود وسيط، فبقدر ما يشارك القارئ في إنتاج معنى النص، يقوم النص بدوره بالتأثير في القارئ وتوجيه استجاباته فالنص يختار قارئه فينتج نصاً إبداعياً قد يفوق النص المقروء .

إن نظرية التلقي في الأدب والنقد الأدبي مبنية على أساس الرؤية الفذة في الكشف عن الجوهر الحقيقي للواقع والاحداث والمصادر للنص المقروء، كما انه ليس خالياً من الإشارات والإيماءات والدلالات، وإنما هي مرسومة وفق نظام تقني فني دقيق محفزاً للقارئ، على كشف المعاني

وايضاح دلالاتها المضمره، لذا كان لابد من تسليط ضوء المتلقي العارف الفاحص بمثابة وملاحقة عقلية وروحية لا تلتين ولا تفتقر؛ حتى تتكشف الحقائق بوضوح وبيان، وتتوسع مديات المعاني. وهذا لا يكون دون القراءة التأويلية المبنية بالدرجة الأساس على الخلق والابتكار. وكل ذلك يتطلب صرف المعنى الظاهر الى الدلالة المتخفية فيه، وهو ما يفرض وجود مهارة قرآنية إبداعية، قوامها التأويل الذي يبعث النور في ظلام دامس يلف النص، والنص كما اللوحة الأصلية المرسومة باتقان، ومن أساسيات صنعها الظلال والظلام، اللذان يحتاجان الى تسليط الضوء عليهما وكشف اغوارهما.

فالتأويل هو ابن التلقي المميز، ونحتاج من أجل تفعيله الى الوصول لمراحل متقدمة من النضوج العقلي والروحي والاستبصاري، وللوصول الى الفحوى الدقيقة للفظه (التأويل)، تنصفح القرآن الكريم، فنجد اللفظة قد وردت في سبع عشرة مرة توزعت على خمس عشرة آية، وسبع سور، ويمكن تصنيفها على النحو الآلي:

أولاً:- الآيات التي تحدثت عن وجود تأويل للقول، وهي:

- {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}. (آل عمران/ آية ٧).
- {وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ} (الاعراف/ آية ٥٢ و ٥٣).
- {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزَلْنَاهُ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (يونس/ آية ٣٨ و ٣٩).

ثانياً:- آيات تحدثت عن وجود تأويل للفعل، وهي:

- {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ

رَبِّكَ أَنْ يَنْبَغَا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}. (الكهف/ آية ٧٨ - ٨٢).

- {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْغَسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (الاسراء/ آية ٣٥).
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء/ آية ٥٩).

ثالثاً:- آيات تحدثت عن وجود تأويل للرؤيا، وهي:-

- {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَغُوبٍ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (يوسف/ آية ٦).
- {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف/ آية ٢١).
- {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي...} (يوسف/ الآيات ٣٦ - ٣٧).
- {قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} (يوسف/ الآيات ٤٤ - ٤٥).
- {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...} (يوسف/ الآية ١٠٠).
- {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (يوسف/ الآية ١٠١)^(١١).

والبعض يأتي بلفظة التفسير بدل عن التأويل، وهذا غير صحيح، لأن بينهما فرقاً كبيراً، نحو:

- ١- إن التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يُستعمل التأويل في الكتب الإلهية، ويُستعمل التفسير فيها وفي غيرها.
- ٢- إن التفسير بيان معنى اللفظ الذي لا يحتمل إلاً وجهاً واحداً، والتأويل تشخيص أحد احتمالات اللفظ بالدليل استنباطاً.
- ٣- إن التفسير بيان دليل المراد، والتأويل بيان حقيقة المراد، مثاله قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبالمرصاد}، تفسير رصد يرصد إذا راقب، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عنه.

- ٤- إن التفسير بيان المعنى الظاهر من اللفظ، والتأويل بيان المعنى المشكل.
- ٥- ان التفسير يتعلّق بالرواية، والتأويل يتعلّق بالدراية.
- ٦- إن التفسير يتعلّق بالاتباع والسماع، والتأويل يتعلّق بالاستنباط والنظر^(١٢).
- ومفهوم التأويل يتصف بعمقه وأتساع مساحته،، ويوصف منْ يُجيدُهُ بالإبداع، لأنه يمتلك قدرات التفكير الإبداعي، لذا فهذا المفهوم يطرح الكثير من التساؤلات التي يصعب الإجابة عليها، او إيجاد إجابات واضحة شافية له.
- والفعل التأويلي يرتكز على ثلاثة دعائم، هي:-
- ١- القارئ العارف المؤول.
 - ٢- العملية التأويلية.
 - ٣- مخرجات العملية التأويلية.
- وتعتمد العملية التأويلية على مهارات عقلية ونفسية معينة تحدد آلياتها وحيثياتها، منها:-
- ١- الحدس وسرعة البديهية.
 - ٢- الميل لتفكيك الفكرة او الأفكار المترابطة، وإعادة تركيبها مرة أخرى بصورة جديدة مغايرة عن الصورة الأولى.
 - ٣- التأمل، واليقظة والوعي والإحاطة بما يدور حول النص او الفكرة.
 - ٤- التعبير عن العواطف بصراحة وقوة ووضوح.

أما مواصفات الشخصية التي يجب ان يتمتع بها المتلقي الفاحص للنص؛ حتى يكون قادراً على إنجاز العملية التأويلية باتقان ووصف مخرجاتها بالإبداع، فهي:-

- ١- إنْ يمتلك الطلاقة اللفظية والفكرية، والقدرة على خلق أفكار جديدة او استعمالات جديدة.
 - ٢- ان يمتلك المرونة التلقائية والتكيفية، والقدرة على التفكير في أكثر من اتجاه.
 - ٣- له القدرة على إعطاء استجابات أصيلة وجديدة مع النص.
 - ٤- أن يمتلك القدرة على التحليل والتركيب.
 - ٥- له القدرة على التقييم، وأختياره للأفضل مع الأفكار او الانتاجات.
 - ٦- له القدرة على معرفة العناصر ذات العلاقة والمرتبطة بثيمات النص الأساسية والفرعية.
- ويرى بعض أهل الاختصاص^(١٣) أن العمل الأدبي له قطبان: قطب فني، وآخر جمالي. فالقطب الفني يكمن في النص الذي يخلقه المؤلف من خلال البناء اللغوي، وما فيه من دلالات

وثيمات منضوية قصد تبليغ القارئ بحمولات النص المعرفية، والايديولوجية، أي ان القطب الفني يحمل معنى ودلالة شكلية، أما القطب الجمالي فيكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة الى حالته الملموسة، أي يتحقق بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله، ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص واستكناه دلالاته والبحث عن المعاني الخفية والواضحة عبر فك العلاقات الرابطة بين عناصر النص للحصول على مقصودية النص، وتأويله انطلاقاً من تجربة القارئ الخيالية والواقعية والمعرفية.

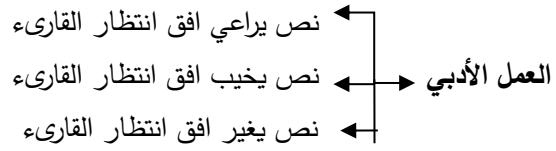
ولو افترضنا ان عملية القراءة تنقسم الى ما قبل القراءة وفي أثناءها، وما بعدها لوجدنا ان القارئ في المرحلة الأولى (أي ما قبل القراءة) متدوقاً، وفي المرحلة الثانية (في أثناء القراءة) متأملاً، اما في المرحلة الأخيرة (ما بعد القراءة) مؤولاً ومنتجاً لكتابة تكون بدورها مهياة للقراءة بعد أن امتلك المتلقي الفاحص ادراكاً خاصاً لديناميكية عملية التأويل الإبداعية.

فالقارئ:- المتلقي الفاحص - مخير في أن يقرأ ما يشاء لكن اختياره هذا يتوقف على أمور عدة منها قابليته على ممارسة القراءة واستيعابه لأدواتها.

ويتردد مفهوم ما يسمى (أفق انتظار القارئ) الذي يتجسد في العلاقة بين النص والقارئ، فالعمل الأدبي قد يراعي أفق انتظار القارئ عندما يستجيب لمعايير الفنية والجمالية والاجناسية عبر عمليات المشابهة النصية والمعرفة الخلفية، وقواعد الأجناس والانواع الأدبية التي تعرفها في نظرية الأدب، ولكن القارئ قد يخيب توقعه ويفاجأ اذا واجه نصاً حدثاً جديداً لم ينسجم مع القواعد التي يتسلح بها في مقارنة النص الأدبي، فعندما نقرأ الروايات الكلاسيكية فإنها تراعي أفق انتظار الكلاسيكي الذي تعود على قراءتها من خلال معايير وآليات تجنيسية وتحليلية معروفة بيد أنه إذا أعطيت لهذا القارئ الكلاسيكي رواية حديثة فإنها ستصدمه بطرائق فنية جديدة تتزاح عما ألفه من مفاهيم القراءة التقليدية بسبب الأنزياح الفني بين الطرائق الموجودة في السرد الكلاسيكي والسرد المعاصر.

وهذا يعني ان هناك مسافة جمالية تترك القارئ وتجعل توقعه الانتظاري خائباً بفعل هذا الخرق الفني والجمالي الذي يسمو بالأعمال الأدبية ويجعلها خالدة مثل، رواية (دون كيشوط) للكاتب (سير فانيس) لدى بعض الباحثين^(٤)، الذين يؤكدون على أن الآثار الأدبية الجديدة هي تلك التي تنمي انتظار الجمهور بالخيبة، إذ الآثار الأخرى التي ترضي آفاق انتظارها وتبلي رغبات قرائها المعاصرين هي آثار عادية جداً تكتفي عادة باستعمال النماذج الحاصلة في البناء والتعبير، وهي نماذج تعود عليها القراء.

إن الآثار التي ينطبق عليها هذا النوع هي آثار الاستهلاك السريع سرعان ما يأتي عليها البلى. أما الآثار التي تخيب آفاق انتظارها وتغيظ جمهورها المعاصر لها، فإنها آثار تطور الجمهور وتطور وسائل التقويم والحاجة من الفن، أو هي آثار ترفض إلى حين تخلق جمهورها خلقاً، وهناك نصوص تغير آفاق انتظار القارئ الذي يجمع بين الذكاء والفتنة، حيث يتعلم بسرعة كل ما هو جديد ويتكيف مع كل نص طليعي وحداثي، حيث يغير هذا القارئ من آليات قراءته وأدواته حتى ينسجم مع معطيات النصوص المفتوحة ويمكن لنا أن نوضح ما قلناه في هذه الخطاطة.



الأثر المفتوح:-

هو أحد المرتكزات التي ارتكزت عليها نظرية التلقي فكثيراً ما استعمل النقاد ودارسو الأدب هذا المفهوم الذي يبدو غريباً عن النقد العربي، وإن كان بسيطاً في بعض وجوهه، وهذا المصطلح هو "الانفتاح".

و"أيكو"^(١٥) أول من استعمل هذا المصطلح، في أول محاولة نقدية ونظرية الهدف منها إرساء قواعد هذا المصطلح، من خلال المداخلة التي قدمها في المؤتمر العلمي الثامن عشر للفلسفة عام (١٩٥٨م) والتي كانت حول مشكلة الأثر المفتوح والواقع ان تطبيق "ايكو" لهذا المصطلح لم تقتصر على العمل الأدبي ذلك إنه طبقه على مجالات متعددة مثل الأعمال الموسيقية والتشكيلية والتلفزيونية، وغير ذلك من المجالات التي ترتبط بالحياة الاجتماعية المعاصرة.

وقد ارتكز - لتوضيح مصطلحه - على مجموعة من الأعمال الموسيقية الكلاسيكية التي يترك كتابها الأصليون هامشاً من الحرية للعازفين الذين يقومون بتأديتها أو تأدية مقاطع منها.

وهكذا انتهى إلى القول إن هذه الأعمال تكشف عن المسافة الشاسعة التي تفصل بين مثل هذه الصيغ وتلك التي فرضها علينا التقليد. وإنها تشكل مجموعة من الوقائع الصوتية التي يقوم المؤلف بتنظيمها بشكل ثابت فهو يترجمها إلى علامات اتقافية لكي يتيح للعازف الوصول إلى الشكل الذي تصوره، وإنها لا تشكل خطابات منتهية ومحددة أو اشكالاً محددة بشكل نهائي فنحن لا نكون

باتجاه بنيوي معطى أمام الأعمال التي تتطلب ان يعاد فيها التفكير، وان تعاش من جديد، ولكن أمام أعمال مفتوحة يقوم العازف بتأديتها في الوقت الذي يقوم فيه بدور الوساطة.

من هنا يظهر ان مفهوم الانفتاح له علاقة بالمؤول الذي يستهلك الأثر او النص او الخطاب، من هنا يتضح مفهوم الانفتاح الذي يتعلق بطرف المؤول، وسيتسع هذا المفهوم أكثر لو تتبعنا الأمثلة التي يعطيها، "أيكو" من الأثار المفتوحة سواء في القطع الموسيقية او في الأعمال الأدبية كما تجلت من خلال الاستعارة الأدبية او من خلال نظرية الشعر الخالص.

وسيتضح المفهوم اكثر وبشكل مميز لو سقنا مثال كلية الهندسة المعمارية "بجامعة كاراكاس" حيث كما يقول "أيكو" - تتشكل قاعات الكلية من الواح متحركة - بشكل يستطيع فيه الاساتذة والطلبة ان يكيفوا ظروف عملهم مع المشكلة المعمارية أو المتعلقة بتنظيم المدينة التي يدرسونها، وبذلك يغيرون باستمرار البنية الداخلية للبناء.

نخلص من ذلك الى التأكيد على أن جزءاً ضخماً من الانتاج الأدبي المعاصر بل ومن الانتاج الإنساني يكون مفتوحاً بدون قصد على التفاعل الحر للقارئ، ولأنه يقوم على أساس الرمز فهو مفتوح على التفاعلات والتأويلات المختلفة ودرجات نوعية متعددة.

موجهات القارئ:

١. السياق -

هو الرصيد الثقافي، التاريخي، الاجتماعي، الفكري المخزون في ذاكرة القارئ الذي يشكل مرجعية على قراءة ما حول النص، ولكل نص سياقات خاصة به تثير فاعلية القارئ على وفق ما يتلائم مع مرجعيات ذلك القارئ.

إن كل عمل ينتمي الى جنس أدبي مختلف عن غيره وله سياق يسهم في توجيهه وتأويله بما يوفر لدى المتلقي تقاليد وقواسم مشتركة تجعل الدخول اليه بعد معرفتها امراً ميسوراً، ولهذا فان اولى المهام التي يجب ان يعرفها القارئ هو الإطلاع على السياق ومعرفة تقاليد.

فمثلاً حين ننظر في نصوص أبي تمام التي حفلت بالشعرية - الانزياح واللاتجانس والتناثر - نجدها قد انعطفت بالسياق الشعري العربي مما جعلها تحدث هزة استقبالية جادة في عصره دفعت نقاد عصره الى ان يتنكروا له ويرفضوه ويحاولوا نفيه من دائرة الشعر، لأنه انعطف بالسياق الشعري المتسق والخاضع لنظرية معروفة لديهم هي نظرية عمود الشعر العربي انعطافة حادة.

وإن كان اتجاه أبا تمام سرعان ما تحول لبنة أساسية في السياق الشعري، جاء بعده البحتري والمتنبي والمعري فبنوا عليها وطوروها.

٢. المؤلف:-

يتخذ القارئ من حياة المؤلف - مبدع الانتاج الأدبي - سيرته ونشأته موجهاً في قراءة ذلك النتاج فلا يهتم بحديثاته بل يجعل جل اهتمامه منصباً على الوثائق والبيانات واللقاءات والحوارات والوقائع الخاصة بذلك المؤلف لأجل بلوغ مقاصده ومعرفة أفكاره وأغلب القراءات الموجهة بالمؤلف هي تلك التي تدور حول مؤلفين مشهورين لهم رصيدهم الأدبي المرموق، والقراءة التي تنتج عن هذا النشاط قراءة تقريرية سطحية أشبه بكتابة سيرة إذ تغطي عليها النزعة التوثيقية.

٣. النص:-

يوجه النص المقروء - شعراً كان أم نثراً - القارئ أما الى تحليل عناصره ومكوناته النفسية مثل الشخصية والحدث والحوار والأسلوب، وأما الى تركيب هذه العناصر والمكونات مع بعضها في وحدة بنائية واحدة مستبعداً عواطفه ومشاعره أولاً، واتجاهات المؤلف وحياته ونشأته، وبهذا يكون البناء الداخلي للنص هو محور القراءة ومركزها.

والخطوة الأولى هنا هي إهمال المعنى والاهتمام بالمبنى فلا اعتبار لما يطرحه النص من مشاكل اجتماعية وأخلاقية ولكن المهم هو كيف عالجهما النص فنياً حتى يغدو النص غاية، بحد ذاته وتتماهى الذات القارئة في النص وتذوب فيه عبر القراءة التي توحد بين الوعي النقدي والوعي الإبداعي.

٤. السنن:-

هي مجموع المواصفات والتقاليد الفنية الموجهة والمحددة لطبيعة التوجه القرائي، والسنة هي الخصوصية التي يتمتع بها أسلوب الكاتب وإبداعه ضمن سياق عام هو النتاج العام لمجموع القيم الإبداعية لجنس أدبي ما ينتهي اليه نص الكاتب وهي تعنى بالأنساق الأسلوبية والعلاقات اللغوية، وإن مرجعية فك السنن هي مرجعية علمية معرفية تختزن في وعي القارئ الذي لا يكون له مثل هذه المرجعية الا بعد طول المدارس والتخصصية لتكسبه مجموعة المواصفات التقليدية الداخلية في عملية الانتاج والابداع.

٥. قناة الاتصال:-

هي الوسيلة او الوساطة للتواصل والناقل الذي يحفز فعل الانتقال والنبث والإبلاغ ولكل نص نظام للإرسال تنقل بموجبه رسالة المرسل الى المتلقي بواسطة وحدة تمر عبرها كلمات وإشارات وصور

وعلامات تحقق وظيفة تنبيهية هي ليست ساكنة ثابتة في النص بل هي متحركة يمكن إعادة بنائها حتى وإن تداخلت مع سائر الموجهات الأخرى وتبعاً لفاعلية العين القارئة وقدرتها على حث القارئ على تتابع أفعال مثل (التوقف، الحركة، التراجع) وتتفاوت هذه الفاعلية تبعاً لسرعة القارئ على التلقي أو مدى معرفته بسلوكيات القراءة.

ومن هنا الخط، فقد تضفي بعض الخطوط سمة خيالية خاصة على فضاء الكتابة الإبداعية الأمر الذي يستوقف القارئ ويؤثر فيه ومن ثم يوجه له قراءته فالخط يمنح الكلمات هيئة وكياناً في مخاطبة العين. أما عن شكل الصفحة وحجمها ولونها وعلاقتها فان لها فعلها التوجيهي اذا أحسن القارئ استخدامها في انتاج كتابة سيميائية داخلية بالرمز والاشارة، واستخدام الجداول والترسيمات والخطاطات لها فعلها لتوجيهي للقارئ ايضاً.

٦. القارئ المتخيل:-

هو بنية كاملة داخل مخيلة القارئ لا وجود له الا في ذهن القارئ لحظة الكتابة، ان الفكرة القارئ عن قراءة المتلقين وما يتوقع منهم في اللحظة التي يمسك فيها القلم ويدون ملاحظاته عن المقروء ان الطبيعة الاجرائية لهذا الموجه تقتضي ان يضع القارئ تصورات وهمية افتراضية لقارئه المتلقي فيجعله امام عينه أو يتماهى معه ألياً فيغدو صورة ثانية منسلخة عن ذاته القارئة حيث يكون محاوراً نفسه مستنبطاً وعيه.

٧. أصناف المتلقين:

تحدثت نظرية التلقي الحديثة عن أصناف مختلفة من المتلقين ويمكن ان نميز بين عدة أنواع من القراء بحسب التصورات المختلفة للقارئ او بحسب الدور الذي يقوم به في تفعيل النص:-

- ١- القارئ المحسوس.
- ٢- القارئ المشارك.
- ٣- القارئ المثالي.
- ٤- القارئ النموذجي أو الجامع.
- ٥- القارئ المخير.
- ٦- القارئ الضمني.

الخلاصة:-

عرفنا أن التلقي والتأويل عنصران ضروريان لفهم العملية النقدية، وإحداث تغيير معرفي لدى المتلقي بغض النظر عن خلفيته المعرفية، وان زيادة المعرفة عند الفرد تعني انه تعلم تلك المعرفة التي تريده ان يبقى ويحتفظ بها الى أطول مدة ممكنة لأنها تساعده على فهم وتحليل وتأويل نصوص اخرى قادمة، وبالتالي ينعكس على الانتاج الأدبي ويرفع مستوى تألقه وإبداعه، والقارئ المميز الذي يمتلك قدرة التأويل يرفع من قيمة النص المعيارية ويحفز صانع النص على ان يجعل رسالته مرتبطة بحاجات القارئ الحقيقية الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.. الخ.

فالقارئ المؤول يقوم بتأويله على الخبرة المباشرة الحقيقية او الخبرة غير المباشرة (البديل) وكلما كانت الخبرة أقرب الى الواقع كلما كان التأويل اكثر فاعلية وأكثر قبولاً. ويكون التأويل مستنداً الى معلومات ومهارات واتجاهات وقيم قابلة للبقاء حسب قدرة المتلقي المؤول في التحليل الإبداعي وسرعته الذاتية.

والعلاقة بين التلقي والتأويل علاقة انمائية تدفع بالفرد نحو التفكير الابداعي، الذي يجعل منه - الفرد - باحثاً يربط الأسباب والنتائج ويفسر الظواهر ويبحث عن اسبابها. والتأويل هو تعلم دائم يتغير باستمرار حتى يحقق النمو المتكامل والشامل عند المتلقي. وهذا يكشف عن القدرات الحالية للمتلقي في التفكير والمحاكمة والاستنتاج. والتي تمكنه من بناء علاقة قوية بين مفهوم التلقي والتأويل، ويدفع بالعملية الأدبية والنقدية نحو الإبداع المنشود.

المصادر والمراجع:

١. أمبرطو إيكو، يمثل مرحلة النص مع البنيوية اللسانية والسردية والسيمايات، وهو زميل ل(فلاديمير يروب، ورولان بارت، وكلود بريموث). ممن كان لهم دور فاعل في النهج البنيوي اللساني.
٢. البيان والتبيين، للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٦.
٣. جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت يابوس، ت: رشيد نبجدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١٠١.
٤. فلسفة القراءة وإشكالية المعنى، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر، (د-ط)، ٢٠٠٠م، ص ٣٤٢.
٥. معجم الصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة مجدي والمهندس كامل، ص ٢٨٧.
٦. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، علوش سعيد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٧٥.
٧. المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٣.

٨. المعجم الوسيط، قام بإخراجه د.ابراهيم أنيس، د.عبد الحلیم منتصر، عطية الصّوالحي محمد خلف الله احمد، بإشراف حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، ط٢، ج٢، ص٨٣٦.
٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا. (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، سنة ١٤٠٤هـ، ج١، ص١٦٠.
١٠. هانس روبرت ياوس (١٩٢١-١٩٩٧) متخصص في اللغات الرومانية والمنظر الأدبي واحداً من الممثلين الأساسيين لمدرسة كونستانس التي تم تأسيسها في نهاية الستينات (١٩٦٩م) وارتبط اسمه بمفهوم معين هو "القطيعة مع الجمالية في التقليدية للنتاج - تغيير الإبدال- الذي يضع القارئ في مركز النظرية الأدبية، ويعد كتابه (التجربة الجمالية والهيرمينوطيقا الأدبية) من أهم مصادر النقد الحديثة.
١١. ولفغانغ إيزر، من المساهمين في تطوير نظرية التلقي، وهو من جامعة كونستانس في ألمانيا، ويمثلون مرحلة ما قبل ظهور التفكيكية ومدارس ما بعد الحداثة، التي ركزت على مجموعة من المفاهيم ولعل أهمها، الدور الذي يلعبه الجمهور المتلقي، حيث يفضون النصوص في نظام الأشياء لا على النصوص ذاتها، ويؤكد ان الجمهور المتلقي يلعب دوراً مهماً فيما نسميه تحقيق النص.
١٢. ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٢٢، ٢٣.
١٣. ينظر: تأويل القرآن، النظرية والمعطيات، السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، ايران، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٥، ١٦، ١٧.

14. Duden, Ibid, Artikel Kesen, p.1.13.

- Dictionnaire encyclopediiaue illastre Lavousse, article Lecture, I bid, p.899.
- Le Robert Me'thodique, arcticiel lecture, I bid, p.801.
- Dictionnaire encyclopediiaue illastre Lavousse, article Lecture, I bid, p.899.

الهوامش

- (١) المعجم الوسيط، قام بإخراجه د.ابراهيم أنيس، د.عبد الحلیم منتصر، عطية الصّوالحي محمد خلف الله احمد، بإشراف حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، ط٢، ج٢، ص٨٣٦.
- (٢) فلسفة القراءة وإشكالية المعنى، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر، (د-ط)، ٢٠٠٠م، ص٣٤٢.
- (٣) جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ت: رشيد نجدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٠١.
- (٤) المعجم الوسيط، ج١، ص٣٣.
- (٥) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا. (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، سنة ١٤٠٤هـ، ج١، ص١٦٠.
- (٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة مجدي والمهندس كامل، ص٢٨٧.
- (٧) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، علوش سعيد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٧٥.

(٨) Duden, Ibid, Artikel Kesen, p.1.13.

- Dictionnaire encyclopediiaue illastre Lavousse, article Lecture, I bid, p.899.

- Le Robert Me'thodique, arcticiel lecture, I bid, p.801.

- Dictionnaire encyclopediiaue illastre Lavousse, article Lecture, I bid, p.899.

(٩) البيان والتبيين، للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٦.

(١١) ينظر: تأويل القرآن، النظرية والمعطيات، السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، ايران، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٥، ١٦، ١٧.

(١٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص ٢٢، ٢٣.

(١٣) ولفغانع إيزر، من المساهمين في تطوير نظرية التلقي، وهو من جامعة كونستانس في المانيا، ويمثلون مرحلة ما قبل ظهور التفكيكية ومدارس ما بعد الحداثة، التي ركزت على مجموعة من المفاهيم ولعل اهمها، الدور الذي يلعبه الجمهور المتلقي، حيث يفضون النصوص في نظام الأشياء لا على النصوص ذاتها، ويؤكد ان الجمهور المتلقي يلعب دوراً مهماً فيما نسميه تحقيق النص.

(١٤) هانس روبرت يابوس (١٩٢١-١٩٩٧) متخصص في اللغات الرومانية والمنظر الأدبي واحداً من الممثلين الأساسيين لمدرسة كونستانس التي تم تأسيسها في نهاية الستينات (١٩٦٩م) وارتبط اسمه بمفهوم معين هو "القطيعة مع الجمالية في التقليدية للانتاج - تغيير الإبدال - الذي يضع القارئ في مركز النظرية الأدبية، ويعد كتابه (التجربة الجمالية والهيرمينوطيقا الأدبية) من أهم مصادر النقد الحديثة.

(١٥) أمبرطو إيكو، يمثل مرحلة النص مع البنيوية اللسانية والسردية والسيميائيات، وهو زميل ل(فلاديمير يروب، ورولان بارت، وكلود بريموث.) ممن كان لهم دور فاعل في النهج البنيوي اللساني.